شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر

المؤلف: أ. د. أحمد صاري

غرداية، المطبعة العربية، 2004، 219 ص.

هذا الكتاب الذي اخترنا له عنوان " شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر" يشمل مجموعة من الدراسات التي ظهرت خلال السنوات الماضية في شكل مقالات في مجلات جزائرية وتونسية. وهي تعالج في مجملها جملة من القضايا في تاريخ الجزائر المعاصر، وبالضبط الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين إلى الاستقلال. ويمكننا أن نقسمها إلى قسمين: قسم أول يبرز دور بعض الشخصيات ومكانتها في الحركة الوطنية، بصفة عامة، والحركة الإصلاحية بصفة خاصة. وقسم ثان يعالج بعض القضايا والأحداث التي ميزت هذه الفترة.

ففي ما يتعلق بالقسم الأول فإن دور ابن الموهوب مثلا ومبارك الميلي وعبد العزيز الهاشمي لا يقل أهمية عن الدور الذي قامت به بعض الشخصيات الرئيسية، وبالرغم من ذلك فإن هذه الشخصيات لم تحذب إليها اهتمام الباحثين.

كما تناولنا في بحوث أخرى علاقة بعض الشخصيات بالجزائر ونظرهم إليها خلال الفترة الاستعمارية. وفي هذا الصدد فقد تطرقنا إلى علاقات الأمير شكيب أرسلان ببعض زعماء الحركة الوطنية الجزائرية (ابن باديس، مصالي...الخ). هذه العلاقات التي تابعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر باهتمام كبير. فقد كانت متخوفة من المراسلات التي كانت متبادلة ما بين شكيب أرسلان وبعض شخصيات الحركة الوطنية. وقد اهتمت الإدارة الاستعمارية هذه القيادات مرات عديدة بتلقيها الأوامر من هذا الزعيم العربي وبوقوعها تحت تأثيره. وعموما فقد

اهتمت السلطات الإدارية بتطور علاقات الجزائر بالمشرق العربي وفرضت رقابة صارمة على كل اتصال ما بين الوطنيين الجزائريين وبعض الجمعيات والأحزاب والشخصيات المشرقية.

كما تناولنا علاقات شارل أندري جوليان بالجزائر من جانب آخر وهو جانب الملاحظ السياسي لا جانب المؤرخ. فإذا كان جوليان قد عرف خاصة بكتاباته التاريخية عن الجزائر فإنه تابع أيضا، أحيانا عن قرب وأحيانا أخرى عن بعد، التطورات السياسية في الجزائر وكانت له آراؤه الخاصة وتفسيراته آنذاك لما كان يعرف بـــ "المشكل الجزائري". وهو في ذلك ينطلق من موقف المراقب للأحداث السياسية أكثر منه من موقف المؤرخ.

ودائما في إطار مواقف بعض الشخصيات من قضايا عصرهم توقفنا عند إحدى المسائل التي شغلت بال الباحثين آنذاك، وهي موقف ابن باديس من مسألة إلغاء مصطفى كمال للخلافة الإسلامية سنة 1924.وقد حاولنا في هذه الدراسة التعريف بموقف ابن باديس من هذه القضية وتوضيح الأسباب التي قد تكون دفعته إلى أن يكون متساوقا مع موقف مصطفى كمال.

وفي القسم الثاني تناولنا في البداية دور الجمعيات والنوادي الثقافية في إبراز الوعي الوطني الجزائري، وذلك بما قامت به من تحسيس وتوعية. ذلك أنها شكلت الأرضية التي أسست عليها الأحزاب السياسية فيما بعد. وفي دراسة أخرى سلطنا الأضواء على الدور الذي قام به المهاجرون الجزائريون بفرنسا في الثورة التحريرية. فإذا كانت هذه الجالية المهاجرة لم تستطع المساهمة عسكريا في الثورة التحريرية، فإنها ساهمت سياسيا وماديا وبفعالية في دعم الثورة وفي التعريف بالقضية الجزائرية. والغرض من هذه الدراسة هو تمكين القارئ العربي من التعرف على دور هذه الجالية. فإذا كانت الكتابات باللغة الفرنسية متوفرة نسبيا في هذا الموضوع فإنها تكاد تكون منعدمة باللغة العربية. ويظهر ذلك بوضوح من خلال المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

وهذا الانتقال من مرحلة الوعي الوطني إلى مرحلة الثورة قد ساهمت فيه بدرجة كبيرة بعض الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال فترة الثلاثينات، ومن بينها الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال مدينة الجزائر (1930) والذكرى المئوية لاحتلال مدينة قسنطينة (1937). وإذا كانت الذكرى الأولى قد لقيت عناية الدارسين بالبحث والتحليل، نظرا للإمكانيات الضخمة التي خصصت لها والإشهار الواسع الذي رافقها والاحتفالات الكبرى التي صاحبتها، فإن الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال مدينة قسنطينة وردود الفعل حولها لم تلق الاهتمام اللازم، بالرغم من أنها شكلت قطيعة فعلية ما بين الجزائريين الذين كانوا يطمحون إلى الإصلاحات والدوائر الاستعمارية التي كان همها الوحيد إبقاء الجزائريين على حالهم. وفعلا فقد شكلت هذه الاحتفالات منعرجا حاسما في تطور الحركة الوطنية. وقد ظهر هذا التطور في حوادث 8 ماي 1945 التي خصصنا لها دراسة، وإن كنا لم نتناول الحوادث في حد ذاتها وإنما عالجناها من زاوية أخرى وهي كيفية نظرة السلطات إليها.

وإلى جانب هذه البحوث التي تخص التاريخ الوطني أدرجنا بحثا آخر يمس ولو من بعيد الجزائر، وهو يتعلق بجريدة العروة الوثقى التي صدرت لمدة وجيزة بباريس في نهاية القرن التاسع عشر، والتي بالرغم من قصر عمرها إلا أنها تركت أثرا كبيرا على العالم العربي والإسلامي .

إن غرضنا من جمع هذه الدراسات في كتاب واحد هو تمكين جمهور القراء والباحثين والطلبة من مرجع متكامل يحوصل عمل سنوات من البحث، وسد ثغرة كبيرة في سوء توزيع المجلات الوطنية والأجنبية داخل بلادنا. فبقاء هذه الدراسات في شكلها الأصلي يحد من انتشارها ويصعب الوصول إليها، وبالتالي يحرم الكثير من الباحثين والقراء من الاستفادة منها. ففي وقت تنوعت فيه وسائل الاتصال وانتشار الأخبار والمعلومات بسرعة فائقة، مازالت مجلاتنا وكتبنا تلقى صعوبات كثيرة في التوزيع. فإذا كانت بعض المجلات الوطنية لا تصل في كثير من الأحيان إلى

العديد من مدن الجزائر، فكيف يكون الحال يا ترى بالنسبة للمجلات الأخرى، وبالخصوص تلك التي تصدر خارج الجزائر، خاصة في وقت قلت فيه الموارد المالية المخصصة لاستيراد الكتب والمجلات، وبذلك استعصى على الباحث متابعة ما ينشر في الخارج حتى يواكب التطورات في ميدان بحثه.

والدافع الآخر الذي جعلنا نفكر في جمع هذه البحوث هو تكامل موضوعاتها، فمعظمها تتناول الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين إلى غاية الاستقلال. ومن حيث الموضوع فهي تعالج بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، من حيث بداية الوعي الوطني ودور بعض الشخصيات في الحركة الوطنية وردود فعل الجزائر ضد السياسة الاستعمارية.

وتكمن أهمية هذه البحوث في أنها تعتمد على مصادر أولية من أرشيف وجرائد، ودراسات أخرى باللغتين العربية والفرنسية لم توظف من قبل أو استعملت على نطاق ضيق. كما تفادينا التكرار، والاقتباس المجحف الذين أصبحا يميزان الكتابات التاريخية ويثقلانها.

وفي النهاية، أتمنى أن تساهم هذه الدراسات في إثراء تاريخنا الحديث والمعاصر وذلك بمناقشة بعض قضاياه التي مازالت عالقة، وأن يجد القراء من باحثين وطلبة ومهتمين بتاريخ الجزائر ضالتهم في هذا الكتاب.